المؤتمر القرآني الدولي الثاني
في هدايات القرآن الكريم

تعظيم الله تعالى
في هدايات القرآن الكريم

تنظيم جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

عنوان البحث

الآثار العقدية والنفسية والأسرية لتعظيم الله تعالى

اسم الباحث

د/ محمد أصبيحي

د. محمّد أصبيحي

الآثار العقدية والنفسية والأسرية لتعظيم اللّه

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وصحبه ومن والاه،،

أمّا بعد؛ فقد وصف الله سبحانه نفسه العلية بالعظمة في أعظم آية في كتابه، فقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾[البقرة]، وعظَّم -سبحانه- عرشه، ونبأه، وفضله، وقَسمه، والأجر الذي أعده للمحسنين، والعذاب الذي أعتده للكافرين والعاصين، ويومَ الدين، وخُلقَ سيد المرسلين، والملك الذي آتاه بعض عباده، والذِّبح الذي فدىٰ به ابن خليله، فقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ١٢٩﴾ [التوبة: ١٢٩]، وقال: ﴿قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ٦٧﴾ [ص]، وقال: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ١٧٤﴾[آل عمران]، وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦﴾ [الواقعة]، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ١٧٢﴾[آل عمران]، وقال: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣﴾ [النساء]، وقال: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧﴾ [البقرة]، وقال: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدٗا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡخِزۡيُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٣﴾ [التوبة]، وقال: ﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ٣٧﴾ [مريم]، وقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [القلم]، وقال: ﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ٥٤﴾ [النساء]، وقال: ﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧﴾[الصافات: ١٠٧].

وعظمة هذه الأشياء المذكورة في هذه الآيات دالة دلالة لزوم علىٰ أن البارئ سبحانه أجَلُّ وأعظم. وفي القرآن الكريم دعوة متكررة بصيغ متنوعة وأساليب مختلفة إلىٰ النظر والتفكر في السماء وبنائها، والأرض ودحوها، وتعاقب الليل والنهار عليها، والفلك وجريانها، والسحب وإزجائها، وإحياء الأرض بعد موتها، والنباتات وأزواجها، وغيرها؛ لأن فيها آيات بينات علىٰ عظمة بديعها سبحانه. وإنما اهتم كتاب الله المحروس بترسيخ التعظيم في النفوس؛ لما له من

آثار فضلىٰ، وثمار عظمىٰ بها صلاح معاش العباد ومعادهم؛ فكان من المهم إذن أن يعنىٰ الباحثون بتجلية تلكم الآثار؛ لبلوغ الأهداف الآتية:

- تحقيق مطلب تدبر الآيات القرآنية، والتفكر في الآيات الكونية.
- موافقة مقصود القرآن الكريم من تعظيم رب العالمين.
- التأكيد علىٰ أهمية وضرورة تعظيم الله تعالىٰ.
- إحياء تعظيم الله تعالىٰ في القلوب، والإسهام في تقوية معتقد أفراد الأمة، وإصلاح عباداتهم، وتزكية نفوسهم، وتقويم سلوكهم، وصيانة أسرهم.

وقد بحثت مليا فألفيت الدراسات في آثار تعظيم الله تعالىٰ غير كافية[1] لتحقيق الأهداف السالفة الذكر؛ فأعملت الفكر والنظر، ورجعت البصيرة والبصر في الآيات القرآنية، وطائفة من الأحاديث النبوية، والأحوال الفردية والجماعية، ومجموعة من التفاسير والشروح والمؤلفات العلمية؛ فعنَّت لي آثار تعظيم رب البرية متنوعة زكية؛ اقتصرت في ورقتي علىٰ ثلاثة منها، هي: الآثار العقدية والنفسية والأسرية.

وانتظمت الورقة مبحثين، بينت في الأول آثار تعظيم الله تعالىٰ العقدية، وجليت في الثاني آثار تعظيم الله تعالىٰ النفسية، والأسرية، ويعقب المبحثين خاتمة نعرض فيها النتائج والتوصيات.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن أعتمد منهجا تحليليا وصفيا قوامه النظر في النصوص التي ذكرت آثار تعظيم الله تعالىٰ تصريحا أو إشارة، أو إيماء، وتحليل موضوعاتها، وتفسير قضاياها وتعليلها، واستخلاص مضامينها، ثم تصنيفها بناء علىٰ دلالاتها وأثرِ التعظيم فيها إلىٰ ثلاثة أقسام، أولها: القسم العقدي، والثاني: القسم النفسي، والثالث: القسم الأسري.

هذا؛ والله الموفق والهادي إلىٰ سواء السبيل.

---

(١) الكلام عن تعظيم الله تعالىٰ مبثوث في كتب التفاسير والعقيدة، وذكره الإمام ابن القيم في كتابه مدارج السالكين (٢/ ٤٦٣ فما بعدها)، وأما الدراسات الخاصة فهي نادرة، منها رسالة: تعظيم الله جل جلاله تأملات وقصائد، لأحمد بن عثمان المزيد، وبعض المقالات والخطب.

المبحث الأول: آثار تعظيم الله تعالى العقدية

تعظيم الله تعالىٰ عمل قلبي حقيقته إجلال الله وإكباره، واليقين بأنه سبحانه أكبر من كل كبير، وأقوىٰ من كل قوي، وأعز من كل عزيز، جاوَزَ قدْرُهُ وجلَّ عَنْ حدودِ العُقول حَتَّىٰ لَا تُتَصَوَّر الإِحاطةُ بِكُنْهِه وحَقِيقتِهِ[1]. وهذا اليقين يثمر آثارا عقدية، نتعرف عليها في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أثر التعظيم في تحقيق الإيمان بالله وتوحيده وتنزيهه

إذا نظر العبد في آيات الآفاق والأنفس تأملا واستبصارا تجلىٰ له التنوع والكثرة في عددها، والإتقان في صنعها، والتوازن في خلقها، والتكامل في وظائفها، ولم ير فيها فطورا ولا خللا في أصلها؛ فينبعث في قلبه تعظيمها، ثم يستدل بدلالة اللزوم علىٰ عظمة خالقها ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ٥٠﴾ [طه: ٥٠]، و﴿أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة: ٧]، ثم يستحضر أنه سبحانه لم يشاركه أحد في خلقه، كما قال تعالىٰ: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ٥١﴾ [الكهف]؛ فيستدل بذلك علىٰ سعة عظمة الله، وعجز الخلق عن الإحاطة بها، وأن الله تعالىٰ أعظم من أن يكون له ند أو مثيل، وأجل من أن يفتقر إلىٰ صاحبة أو ولد.

وقد وردت في القرآن الحكيم آيات كثيرة تشير إلىٰ ارتباط الإيمان والتوحيد والتنزيه بالتعظيم ارتباط الثمرة بشجرتها، نتقي منها ثلاثة نماذج؛ تتحقق بها الكفاية في بيان المقصود:

أ- **النموذج الأول**: قوله سبحانه: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧﴾ [الزُّمَر]، ففي هذا النموذج يخبر الحق جَلَّجَلَالُهُ أن المشركين ما قدروا الله حق قدره، أي ما عظموه حق التعظيم، ولو فعلوا ذلك ما أشركوا به، ولو عظمه المشبهة والمجسمة لنزهوه عن الشبيه والنظير؛ وبمثل هذا فسَّر الإمام ابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) الآية، فقال: «وقوله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ﴾ يقول تعالىٰ ذكره: وما عظَّم الله حقّ عظمته، هؤلاء المشركون بالله، الذين يدعونك إلىٰ عبادة الأوثان»[2]، ثم نقل عن ابن عباس قوله في تفسير الآية: «هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم، فمن آمن أن الله علىٰ كل شيء قدير، فقد قدر الله حقّ قدره، ومن لم يؤمن بذلك، فلم يقدر الله حقّ قدره»[3].

---

(١) لسان العرب لابن منظور (١٢/ ٤٠٩، مادة: عظم).

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٣٢٣).

(٣) المصدر نفسه.

هذا؛ وقد نقل الإمام ابن عطية الأندلسي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٥٤٢هـ) خلافا في ضمير ﴿قَدَرُوا۟﴾، فقال: «واختلف الناس في المعني بالضمير في قوله: ﴿قَدَرُوا۟﴾؛ قال ابن عباس: نزل ذلك في كفار قريش الذين كانت هذه الآيات كلها محاورة لهم وردا عليهم. وقالت فرقة: نزلت الآية في قوم من اليهود تكلموا في صفات الله تعالىٰ وجلاله، فألحدوا وجسموا وأتوا كل تخليط، فنزلت الآية فيهم»(١).

والذي يظهر -والله أعلم- أن الآية نزلت في كفار قريش ابتداء، لكنها شاملة لكل من لم يعظم الله حق التعظيم كاليهود الذين عُرفوا بالتجسيم والتشبيه، ويؤيد هذا ما ثبت في (الصّحيحين) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ وَالأَرَضِينَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَىٰ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلاَئِقِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ أَنَا المَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزُّمَر: ٦٧](٢).

ب- **النموذج الثاني**: قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [البقرة]. وفيه يرد الله جَلَّجَلَالُهُ علىٰ الذين زعموا له الولد، ويُعقِّب علىٰ قولهم المنكر بالمصدر ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ أي تنزيها وتبريئا وعلوا لله عما يقول الظالمون علوا كبيرا؛ فإنه سبحانه الرب العظيم خالق ومالك السموات والأرضين، وكلُّ ما فيهما مربوب؛ فكيف يكون له نظير أو صاحبة يأتي منها الولد؟؟ وفي هذا الرد إيماء إلىٰ أن من عظم الله وقدره حق قدره علم أنه أجل من أن يكون له في خلقه شريك أو ولد؛ وبنحو هذا المعنىٰ فسر الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٧٧٤هـ) هذه الآية، فقال -﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾-: «﴿بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: ليس الأمر كما افتروا، وإنّما له ملك السماوات والأرض، وهو المتصرف فيهم، وهو خالقهم ورازقهم، ومقدرهم ومسخرهم، ومسيرهم ومصرفهم، كما يشاء، والجميع عبيد له وملك له، فكيف يكون له ولد

---

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٥٤٠).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ (٤٨١١، ٦/ ١٢٦)، واللفظ له. ومسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٢٧٨٦، ٤/ ٢١٤٧)، كلاهما من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

منهم؟ والولد إنما يكون متولدا من شيئين متناسبين، وهو تبارك وتعالىٰ ليس له نظير، ولا مشارك في عظمته وكبريائه ولا صاحبة له، فكيف يكون له ولد؟! كما قال تعالىٰ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١﴾ [الأنعام]، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ٩١ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ٩٢ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ٩٤ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ٩٥﴾ [مريم]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [الإخلاص]، فقرر تعالىٰ في هذه الآيات الكريمة أنه السيد العظيم، الذي لا نظير له ولا شبيه له، وأن جميع الأشياء غيره مخلوقة له مربوبة، فكيف يكون له منها ولد؟!»[(١)].

ج- **النموذج الثالث**: قوله تعالىٰ: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٦١﴾[النمل]، وفيه سؤال إنكاري علىٰ الذين يعدلون بربهم، وتقرير لحقيقة تفرده سبحانه بجعل الأرض مستقرا لبني آدم، وجعله فيها أنهارا جواري، وتثبيته لها بالجبال الراسية، وفصله بين العذب والأجاج، مما يقتضي ألا يكون مع إله يعبد، وأن المشركين الذين جعلوا له أنداد أو عبدوا من دونه آلهة لا يعلمون عظمة ربهم المقتضية توحيده في الألوهية، وبنحو هذا المعنىٰ فسر الإمام ابن جرير الطبري الآية، فقال: «القول في تأويل قوله تعالىٰ: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ يقول تعالىٰ ذكره: أعبادة ما تشركون أيها الناس بربكم خير وهو لا يضرّ ولا ينفع، أم الذي ﴿جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ﴾ لكم ﴿قَرَارٗا﴾ تستقرّون عليها، لا تميد بكم ﴿وَجَعَلَ﴾ لكم ﴿خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا﴾ يقول: بينها أنهارا ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ﴾ وهي ثوابت الجبال؟ ﴿وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًا﴾ بين العذب والملح، أن يفسد أحدهما صاحبه ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ سواه فعل هذه الأشياء فأشركتموه في عبادتكم إياه؟ وقوله: ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ يقول تعالىٰ ذكره: بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون قدرَ عظمة الله، وما عليهم من الضُّرّ في إشراكهم في عبادة الله غيره، وما لهم من النفع في إفرادهم الله بالألوهة، وإخلاصهم له العبادة، وبراءتهم من كلّ معبود سواه»[(٢)].

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٣٩٦).

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٤٨٤).

تلكم شواهد ثلاث دالة دلالة واضحة علىٰ أن من زال الران من علىٰ قلبه، ولم تكن الغشاوة علىٰ عينه، ونظر بنور الله في ملكوته، علم عظمة ربه وتفرده بالربوبية المقتضي توحيد الله في العبادة، وتنزيهه في الفعل والصفة.

المطلب الثاني: أثر التعظيم في محبة الله وخشيته

الفرع الأول: أثر التعظيم في محبة الله

النفس مجبولة علىٰ حبِّ كلِّ عظيم، فمن عظَّم ربَّه، واستشعر مجدَه وكبرياءه، وأنه أعظم من كلِّ شيء، وأعلىٰ من كلّ ما سواه؛ انبعث في قلبه محبة الله. وكلّما زاد التّعظيم في القلب؛ زادت المحبة إلىٰ أن تصل إلىٰ درجة الكمال؛ فيتذوق المعظِّم المُحِبّ حلاوة الإيمان؛ كما قال النبيُّ ﷺ: «ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»[(١)]. ولعل من الآيات التي تلمع إلىٰ أن التعظيم يثمر المحبة قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٤-١٦٥]؛ ففي هاتين الآيتين ذكر الله سبحانه العلامات والأمارات السماوية والأرضية «الدالة علىٰ الصانع الذي لا يمكن أن يكون إلا واحدا، ثم ذكر الجاحدين الضالين معجِّبا من سوء ضلالهم مع الآيات؛ لأن المعنىٰ أن في هذه الأمور لآيات بينة»[(٢)]، تدعو إلىٰ تعظيم الله جَلَّجَلَالُهُ وكمال محبته، ومع ذلك يصر عُباد الأوثان علىٰ التسوية في المحبة بين الرب العظيم وأوثان لا تملك ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، وأما من عظم الله وآمن به فهو أشد حبا لله. وإنما ذكر سبحانه المحبة بعد ذكر الآيات الدالة علىٰ العظمة والوحدانية؛ للتنبيه إلىٰ أن التعظيم يثمر المحبة، وكلما ازداد العبد تعظيما لربه ازدادت محبته له، والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان (١٦؛ ١/ ١٢)، واللفظ له. ومسلم: كتاب الإيمان (٦٧؛ ١/ ٦٦)، وغيرهما من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر المحرر الوجيز (١/ ٢٣٤).

الفرع الثاني: أثر التعظيم في خشية الله

تواتر عندنا ورأينا رأي العين من أحوال الناس الرهبة والوجل من عظماء الدنيا وكبرائها علىٰ ضعفهم وافتقارهم؛ فلا جرم أن من عرف ربه عظمه، وإذا عظمه خشيه، وأعرف الناس بالله أكثرهم تعظيما له، وعلىٰ قدر التعظيم تكون الخشية؛ قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٥١هـ): «وَمِنْ مَنَازِلِ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة] مَنْزِلَةُ التَّعْظِيمِ. وَهَذِهِ الْمَنْزِلَةُ تَابِعَةٌ لِلْمَعْرِفَةِ؛ فَعَلَىٰ قَدْرِ الْمَعْرِفَةِ يَكُونُ تَعْظِيمُ الرَّبِّ تَعَالَىٰ فِي الْقَلْبِ، وَأَعْرَفُ النَّاسِ بِهِ أَشَدُّهُمْ لَهُ تَعْظِيمًا وَإِجْلَالًا. وَقَدْ ذَمَّ اللهُ تَعَالَىٰ مَنْ لَمْ يُعَظِّمْهُ حَقَّ عَظَمَتِهِ، وَلَا عَرَفَهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ، وَلَا وَصَفَهُ حَقَّ صِفَتِهِ، وَأَقْوَالُهُمْ تَدُورُ عَلَىٰ هَذَا، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣﴾ [نوح: ١٣]، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ: لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ عَظَمَةً. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: مَا لَكُمْ لَا تُعَظِّمُونَ اللهَ حَقَّ عَظَمَتِهِ؟ وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: لَا تَخَافُونَ لِلَّهِ عَظَمَةً»(١).

والشواهد من القرآن علىٰ كون المعرفة سببا للتعظيم، والتعظيم سببا للخشية وفيرة، منها:

أ- قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، ففي هذه الآية حصر للخشية في العلماء، وهم الذين يعلمون عظمة الله وقدرته علىٰ كل شيء، وأن عذابه عظيم، وشديد، وأليم، ومهين، فهؤلاء تمتلئ قلوبهم رهبة من الله سبحانه وخوفا من عقابه، وبنحو هذا فسر الإمام ابن جرير الطبري الآية فقال: «وقوله ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ يقول تعالىٰ ذكره: إنّما يخاف الله؛ فيتقي عقابه بطاعته العلماء بقدرته علىٰ ما يشاء من شيء، وأنه يفعل ما يريد، لأن من علم ذلك أيقن بعقابه علىٰ معصيته؛ فخافه ورهبه خشية منه أن يعاقبه»(٢)، وقال الإمام القرطبي: «﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ يَعْنِي بِالْعُلَمَاءِ الَّذِينَ يَخَافُونَ قُدْرَتَهُ، فَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدِيرٌ أَيْقَنَ بِمُعَاقَبَتِهِ عَلَىٰ الْمَعْصِيَةِ، كَمَا رَوَىٰ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ قَالَ: الَّذِينَ عَلِمُوا أَنَّ اللهَ علىٰ كل شيء قَدِيرٌ. وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: مَنْ لَمْ يَخْشَ اللهَ تَعَالَىٰ فَلَيْسَ بِعَالِمٍ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: إِنَّمَا الْعَالِمُ مَنْ خَشِيَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ. وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: كَفَىٰ بِخَشْيَةِ اللهِ تَعَالَىٰ علما وبالاغترار جهلا»(٣).

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم (٢/ ٤٦٣-٤٦٤).

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٦٢).

(٣) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٩٩).

ب- قوله سبحانه -علىٰ لسان نوح عليه السلام-: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح: ١٣]، فهذا الاستفهام إنكاريٌ موجّهٌ من نوح إلىٰ قومه الذين استعاضوا عن عبادة الله وتوحيده بعبادة أصنام صماء بكماء، فيقول لهم نوح: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ أي: ما لكم لا تعظِّمون ربكم تعظيما يبعث الخوف من عقابه في قلوبكم؛ فتتركون شرككم، وبنحو هذا المعنىٰ فسّر الإمام القرطبي الآية، فقال: « ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾، قِيلَ: الرَّجَاءُ هُنَا بِمَعْنَىٰ الْخَوْفِ، أي: مالكم لَا تَخَافُونَ لِلَّهِ عَظَمَةً وَقُدْرَةً عَلَىٰ أَحَدِكُمْ بِالْعُقُوبَةِ، أَيْ أَيُّ عُذْرٍ لَكُمْ فِي تَرْكِ الْخَوْفِ مِنَ اللهِ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وأبو العالية وعطاء بن أَبِي رَبَاحٍ: مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ ثَوَابًا وَلَا تَخَافُونَ لَهُ عِقَابًا. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: مالكم لَا تَخْشَوْنَ لِلَّهِ عِقَابًا وَتَرْجُونَ مِنْهُ ثَوَابًا. وَقَالَ الْوَالِبِيُّ وَالْعَوْفِيُّ عَنْهُ: مَا لَكُمْ لَا تَعْلَمُونَ لِلَّهِ عَظَمَةً. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ -أَيْضًا- ومجاهد: مالكم لَا تَرَوْنَ لِلَّهِ عَظَمَةً. وَعَنْ مُجَاهِدٍ وَالضَّحَّاكِ: مَا لَكُمْ لَا تُبَالُونَ لِلَّهِ عَظَمَةً. قَالَ قُطْرُبٌ: هَذِهِ لُغَةٌ حِجَازِيَّةٌ. وَهُذَيْلٌ وَخُزَاعَةُ وَمُضَرُ يَقُولُونَ: لَمْ أَرْجُ: لَمْ أُبَالِ. وَالْوَقَارُ: الْعَظَمَةُ. وَالتَّوْقِيرُ: التَّعْظِيمُ»[(١)].

ج- قوله سبحانه: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الحشر: ١٣]، وفيه يخبر الحق سبحانه أن اليهود يخافون من المؤمنين أكثر مما يخافون من الله؛ لأنهم لا يعلمون عظمة الله، ولو علموها لكان خوفهم من الله وحده، ولتركوا الزيغ والغواية، وقصدوا الحق والهداية، وبنحو هذا المعنىٰ فسر الإمام الطبري الآية، فقال: «قوله تعالىٰ: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾﴾ يقول تعالىٰ ذكره: هذه الرّهبة التي لكم في صدور هؤلاء اليهود التي هي أشدّ من رهبتهم من الله من أَجْل أنهم قوم لا يفقهون قدر عظمة الله، فهم لذلك يستخفُّون بمعاصيه، ولا يرهبون عقابه قدر رهبته منكم»[(٢)].

المطلب الثالث: أثر تعظيم الله تعالى في تعظيم كتابه ونبيه وحكمه والإيمان بلقائه

الفرع الأول: أثر تعظيم الله تعالىٰ في تعظيم كتابه ونبيه وحكمه

القرآن الكريم كلام الله، و«**فضل كلام الله علىٰ سائر الكلام، كفضل الله علىٰ خلقه**»[(٣)].

---

(١) تفسير القرطبي (١٨/ ٢٦١-٢٦٢).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٩١).

(٣) أخرجه الدارمي في سننه: كتاب فضائل القرآن، باب فضل كلام الله علىٰ سائر الكلام (٣٣٩٩؛ ٤/ ٢١١٢). وفيه محمد بن الحسن الهمداني وعطية العوفي، وكلاهما ضعيف، وله شاهد مرسل.

وقد وصفه الحقّ سبحانه بصفات العظمة، فقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحِجر]، وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الواقعة]، وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فُصِّلَت]؛ : فحقٌّ -إذن- على من عظَّم الله تعالىٰ أن يعظِّم كلامه ويجلَّه.

والذي نزل عليه القرآن هو النبيُّ ﷺ الذي ارتضاه العظيم رسولًا إلىٰ النّاس كافّة، وزكّىٰ خلقه، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم]، وأمرنا أمر إيجاب أن نعظمه ونجله ونفخمه، فقال: ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾ [الفتح]؛ فكان لزاما علىٰ من صَدَق في تعظيم الله أن يعظم رسوله المصطفىٰ بالتبع.

وكل ما جاء في كتاب الله أو علىٰ لسان رسول الله من الأوامر والنواهي فهي من الله، وتعظيم الله يقتضي تعظيم أمره ونهيه؛ قال الإمام ابن القيم: «الأمر الثاني الذي يستقيم به القلب تعظيم الأمر والنهي، وهو ناشئ عن تعظيم الآمر الناهي، فإن الله تعالىٰ ذم من لا يعظم أمره ونهيه»(١).

ولا يتصوّر معظِّم لله يستخف بالقرآن العظيم، أو يستهزئ برسوله الكريم، أو لا يجل أحكام الدين؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨) في هذا المعنىٰ: «لا فرق بين من يعتقد أن الله ربُّه وأنَّ الله أمره بهذا الأمر، ثم يقول: إنّه لا يطيعه؛ لأنّ أمره ليس بصواب ولا سداد، وبين مَن يعتقد أنَّ محمّدًا رسول الله، وأنّه صادقٌ، واجب الإتباع في خبره وأمره، ثم يسبُّه، أو يعيب أمره، أو شيئا من أحواله، أو تنقصه انتقاصا لا يجوز أن يستحقّه الرّسول. وذلك أنّ الإيمان قول وعمل، فمن اعتقد الوحدانية في الألوهية لله سبحانه وتعالىٰ، والرّسالة لعبده ورسوله، ثم لم يتبع هذا الاعتقاد موجبه من الإجلال والإكرام والذي هو حالٌ في القلب يظهر أثره علىٰ الجوارح. بل قارَنَه الاستخفاف والتّسفيه والازدراء بالقول أو بالفعل= كان وجود ذلك الاعتقاد كعدمه، وكان ذلك موجبا لفساد ذلك الاعتقاد، ومزيلا لما فيه من المنفعة والصّلاح»(٢).

وممّا يشهد لصواب ما قاله شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: أنّ الله تعالىٰ نفىٰ الإيمان عن المستهزئين به وبآياته ورسوله، وسمّاهم مجرمين، فقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم (ص٨).
(٢) الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول لابن تيمية (ص٣٦٩).

عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾[التوبة]، وسبب نزول هذه الآية أنّ رجلًا في غزوة تبوك قال في مجلس: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، أرغبَ بطونًا، ولا أكذبَ ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء! فقال رجلٌ في المجلس: كذبتَ، ولكنَّك منافقٌ! لأخبرنَّ رسولَ الله ﷺ. فبلغ ذلك النَّبيَّ ﷺ ونزل القرآنُ. قال عبد الله بن عمر: فأنا رأيتُه متعلِّقًا بحَقَب ناقة رسول الله ﷺ، تَنْكُبه الحِجارة، وهو يقول: يا رسول الله، إنَّما كنَّا نخوض ونلعب!، ورسول الله ﷺ يقول: ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾[1].

فهذا السَّبب يدلّ علىٰ التنافي بين الاستخفاف والتعظيم، فمن استهزأ بآيات الله، أو لمز رسول الله ﷺ، أو سخر من المؤمن لأنه مؤمن؛ فليس له في التعظيم خلاق ولا نصيب.

الفرع الثاني: أثر تعظيم الله تعالىٰ في الإيمان باليوم الآخر والخوف منه

من عظَّم الله جَلَّجَلَالُهُ أيقن أنه لا يؤوده بعث خلقه بعد الموت، ومن الآيات التي تومئ إلىٰ أن التعظيم يثمر الإيمان باليوم الآخر قوله تعالىٰ: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [النحل]، ففي هذه الآية يذكر الله تعالىٰ أن المشركين أقسموا بالله علىٰ إنكار البعث، ويرد عليهم دعواهم مؤكدا أنه قادر علىٰ إحياء الناس بعد موتهم؛ لمجازاتهم، ووجه الاستدلال بهذه الآية أن أولئك المشركين أقسموا بالله وغلظوا الأيمان، وقسمهم ظاهره تعظيم المقسم به وهو الله، فكان مقتضىٰ التعظيم أن يصدقوا بأن الله قادر علىٰ بعثهم، وإلىٰ هذا ألمع الإمام القرطبي، فقال: «قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ هَذَا تَعْجِيبٌ مِنْ صُنْعِهِمْ؛ إِذْ أَقْسَمُوا بِاللهِ وَبَالَغُوا فِي تَغْلِيظِ الْيَمِينِ بِأَنَّ اللهَ لَا يَبْعَثُ مَنْ يَمُوتُ. وَوَجْهُ التَّعْجِيبِ أَنَّهُمْ يُظْهِرُونَ تَعْظِيمَ اللهِ فَيُقْسِمُونَ بِهِ ثُمَّ يُعَجِّزُونَهُ عَنْ بَعْثِ الْأَمْوَاتِ»[2].

والمقصود أنَّ من وقر في قلبه سعة عظمة الله، ومطلق قدرته يصدق تصديقا يقينيا أن الله سيبعث الناس بعد موتهم. ومن آمن باليوم الآخر، واستحضر ما فيه من أهوال وشدائد وجِل قلبه، وخاف منه، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ٣٣٣، ٣٣٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٢٩)، من رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) تفسير القرطبي (١٠/ ٩٥).

يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ [الشورى]، وقال سبحانه: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ [الإنسان].

فهذه الآيات ناطقات – باللفظ الصريح– بأن من يؤمن بالله وعظمته يصدق باليوم الآخر وأهواله، فينبعث في قلبه الخوف من عقاب الله خوفا ممزوجا برجاء رحمة الله تعالىٰ الواسعة.

المبحث الثاني: آثار تعظيم الله تعالى النفسية والأسرية

تعظيم البارئ جَلَّجَلَالُهُ كما يثمر آثارا عقدية يثمر -أيضا- آثارا نفسية وأسرية نتعرف علىٰ كلٍّ منهما في مطلب:

المطلب الأول: آثار تعظيم الله النفسية

الفرع الأول: أثر تعظيم الله تعالىٰ في عزة النفس من غير كبرياء

يحقق تعظيم الله تعالىٰ لصاحبه عزة النفس وكرامتها؛ لأن المعظم ربه يوقن أن الله هو العزيز الذي يعز من يشاء، ويذل من يشاء، خضعت له رقاب الجبابرة، وذلت له أعناق القياصرة، وقد كتب سبحانه العزة والإكبار لأهل الإيمان، وأوجب الذلة والصغار لأهل الكفر وعباد الأوثان؛ ومن آوىٰ إليه آوىٰ إلىٰ ركن شديد، ومن اعتصم به اعتصم برب مجيد، ومن استمسك بحبله فهو القوي السعيد، ومن عظم غيره، واتخذ وليا من دونه فمثله ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [العنكبوت].

وقد وردت في كتاب الله آيات ناطقات بعزة المؤمنين المعظمين ربهم، كقوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء]، ففي هذه الآية يذم الحق جَلَّجَلَالُهُ المنافقين الذين استعاضوا عن موالاة المؤمنين بمولاة الكافرين طمعا في العزة والمنعة، ويخبر سبحانه أن العزة كل العزة لله تعالىٰ فمن تولاه فهو العزيز، ومن عاداه فهو المهين الذليل، وبنحو هذا فسَّر الإمام الطبريُّ الآية، فقال: «أما قوله جل ثناؤه: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، فمن صفة المنافقين. يقول الله لنبيه: يا محمد، بشر المنافقين الذين يتخذون أهل الكفر بي والإلحاد في ديني ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ يعني: أنصارًا وأخِلاء، ﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، يعني: من غير المؤمنين، ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾، يقول: أيطلبون عندهم المنعة والقوة، باتخاذهم إياهم أولياء من دون أهل الإيمان بي؟ ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾، يقول: فإن الذين اتخذوهم من الكافرين أولياء ابتغاءَ العزة عندهم، هم الأذلاء الأقِلاء، فهلا اتخذوا الأولياء من المؤمنين، فيلتمسوا العزَّة والمنعة والنصرة من عند الله الذي له العزة والمنعة، الذي يُعِزّ من يشاء ويذل من يشاء، فيعزُّهم ويمنعهم؟»[1].

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ٣١٩).

وفي معنىٰ هذه الآية قوله تعالىٰ: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون]، وقوله سبحانه: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة]، وقول النبي ﷺ: «بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّىٰ يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»[(١)].

هذا وإنّ العزّة مراتب، وكلما كان العبد معظِّما لله أكثر كان إلىٰ الطاعة أقرب؛ فيزداد عزة، فإذا ضعف التعظيم في القلب زادت الجرأة علىٰ المعصية، والمعاصي مفتاح الذل؛ قال الإمام ابن القيم[(٢)]: إِنَّ الْمَعْصِيَةَ تُورِثُ الذُّلَّ وَلَا بُدَّ؛ فَإِنَّ الْعِزَّ كُلَّ الْعِزِّ فِي طَاعَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[فاطر: ١٠]، أَيْ فَلْيَطْلُبْهَا بِطَاعَةِ اللهِ، فَإِنَّهُ لَا يَجِدُهَا إِلَّا فِي طَاعَةِ اللهِ. وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ بَعْضِ السَّلَفِ: اللَّهُمَّ أَعِزَّنِي بِطَاعَتِكَ وَلَا تُذِلَّنِي بِمَعْصِيَتِكَ. قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: إِنَّهُمْ وَإِنْ طَقْطَقَتْ بِهِمُ الْبِغَالُ، وَهَمْلَجَتْ بِهِمُ الْبَرَاذِينُ، إِنَّ ذُلَّ الْمَعْصِيَةِ لَا يُفَارِقُ قُلُوبَهُمْ، أَبَىٰ اللهُ إِلَّا أَنْ يُذِلَّ مَنْ عَصَاهُ. وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ:

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ ... وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إِدْمَانُهَا
وَتَرْكُ الذُّنُوبِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ ... وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِصْيَانُهَا
وَهَلْ أَفْسَدَ الدِّينَ إِلَّا الْمُلُوكُ ... وَأَحْبَارُ سُوءٍ وَرُهْبَانُهَا

الفرع الثاني: أثر تعظيم الله تعالىٰ في تحقيق الأمن النفسي والاطمئنان القلبي

لتعظيم العبد ربَّه عز وجل الأثر الأكبر في تحقيق الأمن النفسي والاطمئنان القلبي من أوجه:

أ- **الوجه الأوّل**: أنّ الأمن والإيمان قرينان؛ فمن عظم الله سبحانه آمن به، ومن آمن بالله ربًّا لا رادّ لحكمه، ولا مُعَقِّب لأمره، وصدَّق أنّه هو الرَّزَّاق ذو القوة المتين، وهو خيرٌ حافظًا وهو أرحم الرَّاحمين، وآمن بأنَّه لا يستحق العبادة أحدٌ سواه، لم يخشَ أحدًا إلَّا الله، ولم يغز قلبَه هلعٌ ولا جزعٌ، ولا قلق من الأرزاق ولا اضطراب، ولا خوف من المستقبل؛

---

(١) أخرجه أحمد في (مسنده): مسند عبد الله بن عمر (٥١١٥؛ ٩/ ١٢٦). وابن أبي شيبة في (مصنفه): كتاب الجهاد، باب ما ذكر في فضل الجهاد والحث عليه (١٩٤٠١؛ ٤/ ٢١٢). والطبراني في (المعجم الكبير): مسند عبد الله بن عمر (١٤١٠٩؛ ١٣/ ٣١٧)، جميعهم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم (ص٥٩).

ليقينه أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وكل نفس منفوسة «لَنْ تَمُوتَ حَتَّىٰ تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا وَأَجَلَهَا».

وقد جاء في كتاب الله ما يدلّ علىٰ أنّ الإيمان الخالص من الشِّرك -وهو ناشئ عن التعظيم كما بيَّنا قبلُ- يحقِّق لصاحبه الأمن، ومن ذلكم قوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام]، ففي هذه الآية يذكر الله تعالىٰ علىٰ لسان الخليل إبراهيم أنَّ من وقر الإيمان في قلوبهم ولم يخالط إيمانَهم شركٌ[(١)]= أوجب الله تعالىٰ لهم -دون غيرهم- الأمن التَّامّ الشّامل؛ قال العلَّامة عبد الرحمن السِّعدِيّ (ت: ١٣٧٦هـ): « قال الله تعالىٰ فاصلا بين الفريقين ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ﴾ أي: يخلطوا ﴿إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ الأمن من المخاوفِ والعذاب والشقاء، والهدايةُ إلىٰ الصراط المستقيم، فإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم مطلقًا، لا بشرك، ولا بمعاص؛ حصل لهم الأمن التّامّ، والهداية التَّامّة»[(٢)].

ب- **الوجه الثاني**: أنّ من عَظَّم الله تعالىٰ بقلبه انقاد لسانه لاهجا بذكر الله تعالىٰ، وبذكر الله تطمئن القلوب وترتاح النفوس؛ قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد]، والمعنىٰ: أنّ **المؤمنين** عندما يذكرون الله تعالىٰ الذي عظَّموه وآمنوا به= تسكن قلوبهم، وتهدأ أرواحهم، كما قال الإمام ابن جرير الطبريُّ: «قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾، يقول: وتسكن قلوبهم وتستأنس بذكر الله. وقوله: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾، يقول: ألا بذكر الله تسكن وتستأنس قلوبُ المؤمنين»[(٣)]، وقال الإمام ابن كثير: «﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ أي: تطيب وتركن إلىٰ جانب الله، وتسكن عند ذكره، وترضىٰ به مولىٰ ونصيرا؛ ولهذا قال: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ أي: هو حقيق بذلك»[(٤)].

---

(١) ثبت عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّنَا لاَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ بِشِرْكٍ، أَوَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَىٰ قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣]. أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ (٣٣٦٠؛ ٢/ ١٤١)، ومسلم: كتاب الإيمان (١٩٧؛ ١/ ٦٨٦٩).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٢٦٣).

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ٤٣٢).

(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٥٥).

ومن أدلّ الذِّكر علىٰ تعظيم الله جَلَّجَلَالُهُ التسبيح والتحميد؛ ولذلك اقترنا بالتعظيم في شواهد قرآنية وحديثية، منها قوله تعالىٰ: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾[الواقعة]، وقول النبي ﷺ: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ»(١).

وإذا رطب اللسان بالتسبيح والتحميد كُشف عن القلب همه وغمه، واتسع بعد الضيق، ونال المسبح الحامد الرضا؛ والحجة في ذلكم قوله تعالىٰ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾[الحجر]، وقوله سبحانه: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾[طه].

ج- **الوجه الثالث**: أن من عظم الله تعالىٰ عظم كتابه بالتبع، وإذا عظم الكتاب عُني به تلاوة، واستماعا، وحفظا، وتدبرا، وعملا، ومن كان كذلك انتفع به وكان شفاء لروحه، وحياة لقلبه، وعافية من **جهله**، وشكه وحيرته، وقلقه؛ قال الإمام ابن القيم: «تبارك الَّذِي جعل كَلَامه حَيَاة للقلوب وشفاء لما فِي الصُّدُور، وَبِالْجُمْلَةِ فَلَا شَيْء أَنْفَع للقلب من قِرَاءَة الْقُرْآن بالتدبر والتفكر؛ فَإِنَّهُ جَامع لجَمِيع منَازِل السائرين واحوال العاملين ومقامات العارفين، وَهُوَ الَّذِي يُورث الْمحبَّة والشوق وَالْخَوْف والرجاء والانابة والتوكل وَالرِّضَا والتفويض وَالشُّكْر وَالصَّبْر وَسَائِر الاحوال الَّتِي بهَا حَيَاة الْقلب وكماله، وَكَذَلِكَ يزْجر عَن جَمِيع الصِّفَات والأفعال المذمومة وَالَّتِي بهَا فَسَاد الْقلب وهلاكه، فَلَو علم النَّاس مَا فِي قِرَاءَة الْقُرْآن بالتدبر لاشتغلوا بهَا عَن كل مَا سواهَا»(٢).

ومما يشهد لكلام ابن القيم قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾[يونس]، والمقصود في هذه الآية هو القرآن الكريم،

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ (٧٥٦٣؛ ٣/ ٤٩٠). ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة (٢٦٩٤؛ ٢/ ٦٨٧-٦٨٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن قيم الجوزية (١/ ١٨٦-١٨٧).

ففيه الوعظ بالزواجر، وهو شفاء وعافية لصدور أهل الإيمان الذين يعظمونه ويتلونه؛ يطهرها من الأدواء والأدران، ويرشدها إلىٰ الجادة، وبه تتنزل الرحمات، كما قال الإمام ابن كثير: «يقول تعالىٰ ممتنًّا علىٰ خلقه بما أنزل إليهم من القرآن العظيم علىٰ رسوله الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾، أي: زاجر عن الفواحش، ﴿وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾، أي: من الشبه والشكوك، وهو إزالة ما فيها من رجس ودنس، ﴿وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ﴾، أي: محصل لها الهداية والرحمة من الله تعالىٰ. وإنما ذلك للمؤمنين به والمصدقين الموقنين بما فيه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ٨٢﴾ [الإسراء]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَأَعۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ٤٤﴾ [فُصِّلَت]»[(١)].

هذا؛ وقد أُجريت دراسات ميدانية أثبتت أنّ لحفظ القرآن الكريم أثرًا قويًّا علىٰ الصّحة النفسية، ومنها دراسة ميدانية أجراها الأستاذ الدكتور صالح بن إبراهيم الصّنيع أستاذ علم النّفس بجامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية علىٰ مجموعتين:

- مجموعة طلاب وطالبات جامعة الملك عبد العزيز جدة وعددهم سبعون ومائة (١٧٠) طالب وطالبة.
- مجموعة طلاب وطالبات معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية التابع للجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم جدة وعددهم -أيضا- سبعين ومائة (١٧٠) طالب وطالبة.

وكان من أهم نتائج الدراسة «وجود علاقة ارتباطية موجبة دالة إحصائيا بين ارتفاع مقدار الحفظ وارتفاع مستوىٰ الصحة النفسية لدىٰ عينتي الدراسة كما أن طلاب وطالبات المعهد (والذين يفوقون نظراءهم في مقدار الحفظ) كانوا أعلىٰ منهم في مستوىٰ الصحة النفسية بفروق دالة إحصائيا، ولم توجد فروق في مستوىٰ الصحة النفسية لدىٰ عينات الدراسة يمكن أن تعزىٰ لمتغيرات الجنس أو الجنسية أو العمر أو المستوىٰ الدراسي»[(٢)].

ونشرت الهيئة العالمية للكتاب والسنة أن الأستاذ الدكتور أحمد القاضي أجرىٰ -رفقة فريق طبي- دراسة ميدانية علىٰ عدد من المتطوعين الأصحاء من المسلمين المتحدثين

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٧٤).

(٢) مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد السادس (١٤٢٩هـ)، (ص٢٣٩)، مقال: أثر القرآن الكريم علىٰ الصِّحة النَّفسية للدّكتور صالح بن إبراهيم الصّنيع.

بالعربية وغير العربية وكذلك عند عدد من غير المسلمين في عيادات أكبر بمدينة بنما سيتى بولاية فلوريدا، تليت عليهم مقاطع من القرآن الكريم باللغة العربية تم تليت عليهم ترجمة هذه المقاطع باللغة الإنجليزية، واستعملت أجهزة ومعدات قياس دقيقة؛ فخلصت الدراسة إلىٰ وجود أثر مهدئ للقرآن الكريم في ٩٧٪ من التجارب، وهذا الأثر ظهر في شكل تغييرات فسيولوجية تدل علىٰ انخفاض درجة توتر الجهاز العصبى التلقائى. ثم أجرىٰ ٢١٠ تجربة علىٰ خمسة متطوعين صم، تليت عليهم قراءات قرآنية وقراءات عربية (غير قرآنية) مشابهة للقراءات القرآنية، من حيث الصوت واللفظ والوقع علىٰ الأذن، كما جرب عليهم عدم تلاوة أي شيء عليهم، وهم جالسون في هدوء وأعينهم مغمضة لمعرفة أثر الجلسة المريحة عليهم التى ربما تكون السبب في نقص التوتر، وظهر بالنتائج أن ٦٥٪ من تجارب قراءة القرآن علىٰ الصم كانت إيجابية، وأن الجلسات الصامتة التى لم يتلىٰ فيها أي شيء علىٰ الصم كانت بدون أي تأثير مهدئ، مما يدل علىٰ أن كلمات القرآن الكريم بذاتها ـ وبغض النظر عن مفهومها ـ لها تأثير فسيولوجي مهدئ للتوتر في الجسم البشري[١].

د- **الوجه الرابع**: أن مَن عَظَّم الله سبحانه عظم رسوله ﷺ بالتبع، ومن عظم الرسول عليه الصلاة والسلام أحبه، ومحبته أكبر داع إلىٰ كثرة الصلاة والسلام عليه، وهذه سبب لقضاء الحوائج، وتفريج الكربات، وإزالة الهم، ومغفرة الذنوب؛ والحجة في ذلك حديث أبي بن كعب، قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل؛ قام، فقال: «**يا أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه**»، قال أبي: قلت: يا رسول الله، إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: «**ما شئت**». قال: قلت: الرّبع، قال: «**ما شئت فإن زدت فهو خير لك**»، قلت: النصف، قال: «**ما شئت، فإن زدت فهو خير لك**»، قال: قلت: فالثلثين، قال: «**ما شئت، فإن زدت فهو خير لك**»، قلت: أجعل لك صلاتي كلها قال: «**إذا تكفىٰ همك، ويغفر لك ذنبك**»[٢]، ومعنىٰ قول أُبيٍّ: «كم أجعل لك من صلاتي» كم أجعل لك من دعائي؟، ومعنىٰ قوله ﷺ: «**تكفىٰ همك**» أن الله تعالىٰ سيعطيه بكثرة صلاته علىٰ النبي ﷺ من الدنيا مبتغاه، ومن الآخرة مرتجاه، وإلىٰ هذا المعنىٰ أشار العلامة

---

(١) رابطة العالم الإسلامي، الهيئة العالمية للكتاب والسنة، البوابة الإلكترونية، مقال: المعجزة الصوتية للقرآن الكريم للدكتور محمود يوسف عبده.

(٢) أخرجه الترمذي: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، الباب (٢٤)، (٢٤٥٧؛ ٢/ ٧٤٣)، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

المباركفوري (ت: ١٣٥٣ هـ)، فقال: «(تُكْفَىٰ) مُخَاطَبٌ مَبْنِيٌّ لِلْمَفْعُولِ (هَمَّكَ) مَصْدَرٌ بِمَعْنَىٰ الْمَفْعُولِ وهو منصوب علىٰ أنه مفعول ثان مكتفي فَإِنَّهُ يَتَعَدَّىٰ إِلَىٰ مَفْعُولَيْنِ وَالْمَفْعُولُ الْأَوَّلُ الْمَرْفُوعُ بِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، وَهُوَ أَنْتَ. وَالْهَمُّ مَا يَقْصِدُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ يَعْنِي إِذَا صَرَفْتَ جَمِيعَ أَزْمَانِ دُعَائِكَ فِي الصَّلَاةِ عَلَيَّ أُعْطِيتَ مَرَامَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»[1]، ومتىٰ أُعطي العبد مرام الدنيا وانتظر نعيم الآخرة زال عنه الغم، والخوف، وسيطرة الحزن والقلق؛ فيطمئن قلبه، وتهدأ نفسه.

الفرع الثالث: أثر التعظيم في الأنس بالله والتلذذ بحلاوة العبادة

يرتقي العبد في مدارج السالكين بقدر تعظيمه رب العالمين، فكلما نما التعظيم في القلب علا صاحبه في مراتب الدين إلىٰ أن يصل إلىٰ مرتبة الإحسان، وحقيقتها -كما أخبر النبي ﷺ- «**أن تعبد الله كأنَّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك**»[2]، والمعنىٰ أن يعبد المرء ربَّه علىٰ المشاهدة كأنَّه يراه في عظمته رأي العين؛ فيستحيي أن يقارف المعصية أو يخل بتمام الطاعة، فإن تيقن أنَّه -سبحانه- أعظم من أن يراه الخلق في الدُّنيا، وأنَّه أحاط بكلِّ شيء علمًا، ولا يعزب عنه فعل من أفعال خلقه حافظ علىٰ تمام المأمورات، ولم يتجرأ علىٰ ملابسة المحظورات؛ وبنحو هذا المعنىٰ شرح الإمام النَّوويُّ (ت: ٦٧٦ هـ) خبر النبيِّ ﷺ، فقال: «قَوْلُهُ ﷺ (**الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**) هَذَا مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ الَّتِي أُوتِيَهَا ﷺ؛ لِأَنَّا لَوْ قَدَّرْنَا أَنَّ أَحَدَنَا قَامَ فِي عِبَادَةٍ وَهُوَ يُعَايِنُ رَبَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَمْ يَتْرُكْ شَيْئًا مِمَّا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ الْخُضُوعِ وَالْخُشُوعِ وَحُسْنِ السَّمْتِ وَاجْتِمَاعِهِ بِظَاهِرِهِ، وَبَاطِنِهِ عَلَىٰ الِاعْتِنَاءِ بِتَتْمِيمِهَا عَلَىٰ أَحْسَنِ وُجُوهِهَا إِلَّا أَتَىٰ بِهِ، فَقَالَ ﷺ: اعْبُدِ اللهَ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكَ كَعِبَادَتِكَ فِي حَالِ الْعِيَانِ، فَإِنَّ التَّتْمِيمَ الْمَذْكُورَ فِي حَالِ الْعِيَانِ إِنَّمَا كَانَ لِعِلْمِ الْعَبْدِ بِاطِّلَاعِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَلَيْهِ، فَلَا يُقْدِمُ الْعَبْدُ عَلَىٰ تَقْصِيرٍ فِي هَذَا الْحَالِ لِلِاطِّلَاعِ عَلَيْهِ. وَهَذَا الْمَعْنَىٰ مَوْجُودٌ مَعَ عَدَمِ رُؤْيَةِ الْعَبْدِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُعْمَلَ بِمُقْتَضَاهُ. فَمَقْصُودُ الْكَلَامِ: الْحَثُّ عَلَىٰ الْإِخْلَاصِ فِي الْعِبَادَةِ، وَمُرَاقَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي إِتْمَامِ الْخُشُوعِ وَالْخُضُوعِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَقَدْ نَدَبَ أَهْلُ الْحَقَائِقِ إِلَىٰ مُجَالَسَةِ الصَّالِحِينَ لِيَكُونَ ذَلِكَ مَانِعًا مِنْ تَلَبُّسِهِ بِشَيْءٍ مِنَ النَّقَائِصِ، احْتِرَامًا لَهُمْ، وَاسْتِحْيَاءً مِنْهُمْ. فَكَيْفَ بِمَنْ لَا يَزَالُ اللهُ تَعَالَىٰ مُطَّلِعًا عَلَيْهِ فِي سِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ»[3].

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري (٧/ ١٣٠).

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم: كتاب الإيمان (١؛ ١/ ١٢)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (١/ ١٥٨).

ومتىٰ بلغ السَّالك مرتبة الإحسان هذه استشعر قرب العظيم منه كما يليق بجلاله وجماله، وكماله، وعظيم سلطانه؛ فيأنس بمجالسته، ويتلذذ بمناجاته، ويتذوق حلاوة حمده، والثناء عليه، وتمجيده، والقيام بين يديه والناس نائمون، والصيام له والناس مفطرون، وأخبار السَّلف في الأنس بالله كثيرة ووفيرة، نذكر منها: أنَّ رجلًا كان يصلي كل يوم وليلة ألف ركعة، حتىٰ أقعد من رجليه، فكان يصلِّي جالسًا ألف ركعة، فإذا صلَّىٰ العصر، احتبىٰ فاستقبل القبلة، ويقول: عجبتُ للخليقة كيف أنست بسواك، بل عجبتُ للخليقة كيف استنارت قلوبُها بذكر سواك. وقال أبو أسامة: دخلتُ علىٰ محمّد بن النَّضر الحارثيِّ، فرأيتُه كأنَّه منقبض، فقلتُ: كأنَّك تكره أن تُؤتىٰ؟ قال أجل، فقلتُ: أوَ ما تستوحش؟ فقال: كيف أستوحش وهو يقول: أنا جليسُ من ذكرني. وقيل لمالك بن مِغْوَل وهو جالسٌ في بيته وحده: ألا تستوحش؟ فقال: ويستوحش مع الله أحد؟! وكان حبيبٌ أبو محمّد يخلو في بيته، ويقول: من لم تقرَّ عينُه بك فلا قرَّت عينُه، ومن لم يأنس بك فلا أنِس. وقال غَزوان: إنِّي أصبتُ راحةَ قلبي في مجالسة من لديه حاجتي. وقال مسلمُ بن يسار: ما تلذَّذ المتلذِّذون بمثل الخلوة بمناجاة الله عزَّ وجلَّ. وقال مسلمٌ العابد: لولا الجماعة؛ ما خرجتُ من بابي أبدًا حتىٰ أموت، وقال: ما يجد المطيعون لله لذَّة في الدُّنيا أحلىٰ من الخَلوة بمناجاة سيِّدهم، ولا أحسب لهم في الآخرة من عظيم الثواب أكبرُ في صدورهم وألذّ في قلوبهم من النَّظر إليه، ثمّ غُشي عليه. وعن إبراهيم بن أدهم، قال: أعلىٰ الدَّرجات أن تنقطع إلىٰ ربك، وتستأنس إليه بقلبك وعقلك وجميع جوارحك، حتىٰ لا ترجو إلَّا ربَّك، ولا تخاف إلَّا ذنبك، وترسخ محبتُه في قلبك حتىٰ لا تؤثر عليها شيئًا، فإذا كنتَ كذلك لم تبال في بَرٍّ كنتَ أو في بحرٍ أو في سهلٍ أو في جبل، وكان شوقك إلىٰ لقاء الحبيب شوقَ الظَّمآن إلىٰ الماء البارد، وشوقَ الجائع إلىٰ الطَّعام الطّيب، ويكون ذكر الله عندك أحلىٰ من العسل، وأحلىٰ من الماء العذب الصَّافي عند العطشان في اليوم الصَّائف. وقال الفُضيل: طوبىٰ لمن استوحش من النَّاس، وكان الله جليسه. وقال أبو سليمان: لا آنسني الله إلَّا به أبدا. وقال معروفٌ لرجل: توكلْ علىٰ الله حتَّىٰ يكون جليسك وأنيسك، وموضع شكواك. وقال ذو النُّون: من علامة المحبِّين لله ألَّا يأنسوا بسواه، ولا يستوحشوا معه، ثم قال: إذا سكن القلبَ حبُّ الله تعالىٰ، أنس بالله، لأنَّ الله تعالىٰ أجلّ في صدور العارفين أن يحبُّوا سواه[1].

وإنَّما وصل هؤلاء لهذه المنازل الرَّفيعة من الأنس بالله -بعد توفيقه- بمرتبة الإحسان الملازمة للتعظيم والإجلال.

---

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي (١/ ١٣٣، ١٣٤).

المطلب الثاني: آثار تعظيم الله تعالى الأسرية

لتعظيم الله تعالىٰ أهمية كبرىٰ في حفظ الأسرة وصيانتها، وتلاحم أفرادها، وتكامل وظائفهم، وحفظ حقوقهم، ومصالح معاشهم ومعادهم، فـ «الأسرةَ إذا تربَّتْ ونشأَتْ علىٰ معانِي تعظيمِ اللهِ ومراقبتِه في السرِّ والعلانيةِ، فإنَّ ذلك سوفَ يُنْتِجُ أفرادًا يتحلَّوْنَ بعُمْقِ الإيمانِ ومكارمِ الأخلاقِ، والوقوفِ عندَ حدودِ اللهِ، وكبحِ جماحِ رغباتِ النفسِ وشهواتِها، والحذرِ من كلِّ ما يُغْضِبُ اللهَ، مهما كانتِ الظروفُ معينةً علىٰ المعصيةِ حاثَّةً علىٰ الوقوعِ فيها»[(١)]، وسنتعرف -بحول الله- بالتفصيل علىٰ الآثار الأسرية لتعظيم الله عز وجل في فروع:

الفرع الأوَّل: أثر تعظيم الله تعالىٰ في بر الوالدين

أعلىٰ الله منزلة الوالدين ورفع قدرهما، وقرن برهما بتوحيده؛ فقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، أي أمر ووصىٰ -سبحانه- بإفراده بالعبادة، والبر بالوالدين قولا وفعلا، كما قال الإمام ابن جرير الطبري: «يعني بذلك تعالىٰ ذكره حكم ربك يا محمد بأمره إياكم ألا تعبدوا إلا الله، فإنه لا ينبغي أن يعبد غيره. وقوله ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ يقول: وأمركم بالوالدين إحسانًا أن تُحسنوا إليهما، وتبرّوهما»[(٢)].

ولهذه الآية في القرآن الكريم أشباه ونظائر، ذكرها العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٩٣هـ)، فقال: «وَجَعْلُهُ بِرَّ الْوَالِدَيْنِ مَقْرُونًا بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ جَلَّ وَعَلَا الْمَذْكُورُ هُنَا ذَكَرَهُ فِي آيَاتٍ أُخَرَ; كَقَوْلِهِ فِي سُورَةِ «النِّسَاءِ» : ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [النساء: ٣٦]، وَقَوْلِهِ فِي الْبَقَرَةِ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣]، وَقَوْلِهِ فِي سُورَةِ لُقْمَانَ: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤]»[(٣)].

قلتُ: اقتران البرّ بالوالدين -في هذه الآيات- بأعظم حقّ وهو التّوحيد، والعطف بينهما بحرف «الواو» الذي يفيد الجمع، وليس «الفاء» التي تفيد التّرتيب والتّعقيب، ولا «ثم» التي تفيد التّرتيب مع التّراخي؛ فيه إشارة واضحة إلىٰ تعظيم حقّ الوالدين، وأنّه من آكد الواجبات.

---

(١) تعظيم الله جل جلاله «تأملات وقصائد» لأحمد بن عثمان المزيد (ص١٢٢).

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٤١٣-٤١٤)، وانظر تفسير ابن كثير (٥/ ٦٤).

(٣) تفسير الشنقيطي (٣/ ٥٨٨).

وتعظيم الله تعالىٰ باعث علىٰ برّ الوالدين من أوجه:

أ- أن مَن عظم ربه لزمه - بالتبع- أن يعظم ما عظمه الله سبحانه، كما قال التابعي قتادة: «إنما يعظُمُ الأمر بما عظَّمه الله به عند أهل الفهم والعقل، فعظِّموا ما عظم الله»[(١)]، وقد رأينا الإشارات البينات في الآيات السابقات إلىٰ تعظيم الله حق الوالدين؛ فواجب إذن علىٰ المعظم ربه أن يعظم حق الوالدين تعظيما يجعله بارا بهما ومحسنا إليهما.

ب- أن تعظيم الله سبحانه من أجل أسباب محبته، وقاعدة المحبّة أن «حبيبَ حبيبي حبيبي، وبغيض حبيبي بغيضي»، ومن أحبّ الأعمال إلىٰ الله برّ الوالدين؛ لما ثبت في (الصَّحيحين)، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سألتُ رسول الله ﷺ: أيُّ الأعمال أحبّ إلىٰ الله؟ قال: «**الصّلاة علىٰ وقتها**»، قلتُ: ثمّ أي؟ قال: «**ثمّ برُّ الوالدين**»، قلت: ثمّ أي؟ قال: «**ثمّ الجهاد في سبيل الله**». قال: حدَّثني بِهنّ، ولو استزدته لزادني[(٢)]. ومن أبغض الأعمال إلىٰ الله عقوق الوالدين؛ لحديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟**» ثَلاَثًا، قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ - وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ - أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ**»، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّىٰ قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ[(٣)]؛ فكان لزامًا تعظيم حقّ الوالدين والحرص علىٰ برهما والفرار من عقوقهما.

ج- أنّ من عظّم العزيزَ الرَّحيم جَلَّجَلَالُهُ خاف من عقابه، ورجا عظيم ثوابه، وقد دلّت النُّصوص السّابقة -وغيرها كثير- علىٰ أن بر الوالدين مفتاح الخير في الدنيا والآخرة، وأن عقوق الوالدين باب الشر المستطير في الدنيا والآخرة؛ فحري -إذن- بمن عظم الله ثم عظم ثوابه وعقابه أن يكون بارا بوالديه، وفارًّا من عقوقهما.

وقد سطَّر لنا التاريخ أروع الأمثلة في إجلال السَّلف لوالديهم، ومبالغتهم في برهم؛ تعظيمًا لله، ورجاءً في ثوابه، وخوفًا من عقابه؛ فمن ذلك ما أخرج ابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ) عن ابْنِ عَوْنٍ، قَالَ: كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ إِذَا كَانَ عِنْدَ أُمِّهِ، خَفَضَ مِنْ صَوْتِهِ، وَتَكَلَّمَ رُوَيْدًا[(٤)].

---

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٤١٩).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها (٥٢٧؛ ١/ ١٢٦)، ومسلم: كتاب الإيمان (١٣٩؛ ١/ ٥٠)، كلاهما من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور (٢٦٥٤؛ ١/ ٥٨٤)، ومسلم: كتاب الإيمان (٨٧؛ ١/ ٥١)، كلاهما من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (٢٢٩؛ ص: ٧٧).

وأخرج عن الأشجعي قَالَ: «اسْتَسْقَتْ أَمُّ مِسْعَرٍ مِنْهُ مَاءً فِي اللَّيْلِ فَقَامَ فَجَاءَهَا بِهِ وَقَدْ نَامَتْ، وَكَرِهَ أَنْ يَذْهَبَ فَتَطْلُبَهُ وَلَا تَجِدَهُ، وَكَرِهَ أَنْ يُوقِظَهَا فَلَمْ يَزَلْ قَائِمًا وَالْإِنَاءُ مَعَهُ حَتَّىٰ أَصْبَحَ»(١).

الفرع الثاني: أثر تعظيم الله تعالىٰ في رعاية حقّ الزوجين

أ- أثر تعظيم الله تعالىٰ في رعاية المرأة حقّ زوجها:

بيَّنا في المبحث الأوّل: أنّ من عظم الله تعالىٰ عظم رسوله ﷺ. ومن مقتضيات تعظيمه أن يعظِّم العبد ما عظمه، وقد عظم -صلوات ربي وسلامه عليه- حق الزوج؛ فقال: «لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»(٢)، وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَعْظَمُ النَّاسِ حَقًّا عَلَىٰ الْمَرْأَةِ؟ قَالَ: «**زَوْجُهَا**»، قُلْتُ: مَنْ أَعْظَمُ النَّاسِ حَقًّا عَلَىٰ الرَّجُلِ؟ قَالَ: «**أُمُّهُ**»(٣).

ومن آكد حقوق الزّوج علىٰ زوجه أن تطيعه في أمره الذي لا يخالف أمر الله، وأن تعفه عن الحرام بأن تحسن التبعل وتعنىٰ بزينتها في بيتها، وتحفظ عرضه فلا تقارف فاحشة، وتصون ماله فلا تتصرف فيه إلا بإذنه. وهذه الحقوق ذكرت جميعها في حديث أبي هريرة رضي الله عنه ونصُّه: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «**الَّتِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلَا تُخَالِفُهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهَا بِمَا يَكْرَهُ**»(٤).

وإنّما تصون المرأة تلك الحقوق صيانة تعبد إذا علمت أن الله تعالىٰ أمر بها علىٰ لسان نبيه ﷺ، وأن المحافظة علىٰ الأمر تعظيم للآمر، كما أن المرأة إذا عظَّمت ربَّها أحسَّت بمراقبته وعلمه السَّرائر والخفايا؛ فتحفظ زوجها في غيبته، ولا تتجرأ علىٰ خيانته في نفس ولا مال.

ب- أثر تعظيم الله تعالىٰ في رعاية الرّجل حقّ زوجه:

أمر الله تبارك وتعالىٰ بحسن الرجال بحسن صحبة النساء؛ فقال تعالىٰ: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ**﴾ [النساء: ١٩]، و«هذا يشمل المعاشرة القولية والفعلية، فعلىٰ الزوج أن يعاشر زوجته

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (٢٣١؛ ص: ٧٧).

(٢) أخرجه الترمذي: أبواب الرضاع، باب ما جاء في حق الزوج علىٰ المرأة (١١٥٩، ص٣٧٩. وله شواهد منها شاهد من حديث قيس بن سعد عند أبي داود، وشاهد من حديث معاذ عند ابن ماجه.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك: كتاب البر والصلة (٧٣٣٨، ٤/ ١٩٣). وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».

(٤) أخرجه النسائي: كتاب النكاح، باب أي النساء خير (٣٢٣١، ص: ٥٠٠) من حديث أبي هريرة.

بالمعروف من الصحبة الجميلة، وكف الأذىٰ، وبذل الإحسان، وحسن المعاملة، ويدخل في ذلك النفقة والكسوة ونحوهما؛ فيجب علىٰ الزوج لزوجته المعروف من مثله لمثلها في ذلك الزمان والمكان»(١).

وأخبر -سبحانه- أن للنساء من الحقوق مثل ما عليهن من الواجبات خلا درجة القوامة؛ فقال: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]؛ والمعنىٰ -كما قال الإمام القرطبي-: «لَهُنَّ مِنْ حُقُوقِ الزَّوْجِيَّةِ عَلَىٰ الرِّجَالِ مِثْلُ مَا لِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ؛ وَلِهَذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنِّي لَأَتَزَيَّنُ لِامْرَأَتِي كَمَا تَتَزَيَّنُ لِي، وَمَا أُحِبُّ أَنْ أَسْتَنْظِفَ كُلَّ حَقِّي الَّذِي لِي عَلَيْهَا فَتَسْتَوْجِبَ حَقَّهَا الَّذِي لَهَا عَلَيَّ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَالَ: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أَيْ زِينَةٌ مِنْ غَيْرِ مَأْثَمٍ. وَعَنْهُ أَيْضًا: أَيْ لَهُنَّ مِنْ حُسْنِ الصُّحْبَةِ وَالْعِشْرَةِ بِالْمَعْرُوفِ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ من الطاعة فيما أوجبه عليهن لأزواجهن. وقيل: إِنَّ لَهُنَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِنَّ تَرْكُ مُضَارَّتِهِنَّ؛ كَمَا كان ذلك عليهن لأزواجهن، قال الطَّبَرِيُّ: وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: تَتَّقُونَ اللهَ فِيهِنَّ كَمَا عَلَيْهِنَّ أَنْ يَتَّقِينَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيكُمْ، وَالْمَعْنَىٰ مُتَقَارِبٌ. وَالْآيَةُ تَعُمُّ جَمِيعَ ذَلِكَ مِنْ حُقُوقِ الزَّوْجِيَّةِ»(٢).

وحذَّر الله تعالىٰ تحذيرًا شديدًا من ظلم الرِّجال أزواجهن والاعتداء عليهنّ؛ فقال: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤]؛ أي: إن أطاع الأزواج أزواجهن في غير معصية الله ولم ينشزن فليس لهم ضربهن ولا هجرانهن، و«قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ تهديد للرجال إذا بغوا علىٰ النساء من غير سبب، فإنّ الله العلي الكبير، ولِيُّهن، وهو منتقم ممن ظلمهن، وبغىٰ عليهن»(٣).

وإذا استشعر الرجل أن الله العظيم يأمره بحسن صحبة زوجه، وينهاه عن البغي عليها، وبخسها حقها، واستحضر أن تعظيم الأمر والنهي، تعظيم للآمر الناهي، وأنه موقوف في اليوم العبوس القمطرير بين يدي الرب الكبير، ومسؤول عن الصغير والكبير، ومحاسب علىٰ النقير والقطمير، خاف من العذاب العظيم، ورجا الثواب العظيم؛ فيدفعه الخوف والرجاء إلىٰ أداء حقّ زوجه، وصيانته.

---

(١) تفسير عبد الرحمن السعدي (ص ١٧٢).
(٢) تفسير القرطبي (٣/ ١١٨).
(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٩٦).

الفرع الثالث: أثر تعظيم الله تعالىٰ في تنشئة الأبناء تنشئة صالحة

أمر الله جَلَّجَلَالُهُ الآباء بحسن رعاية الأبناء؛ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم]؛ أي احفظوا أنفسكم من النار بطاعة الله، واحفظوا أبناءكم وذويكم منها بتعليمهم وتأديبهم وحسن تربيتهم، وبنحو هذا المعنىٰ فسَّر جمعٌ من السّلف الآية، فقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالىٰ: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ يقول: أدِّبوهم، علِّموهم. وقال ابن عباس: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ يقول: اعملوا بطاعة الله، واتقوا معاصي الله، ومروا أهليكم بالذكر، ينجيكم الله من النار. وقال مجاهد: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ قال: اتقوا الله، وأوصوا أهليكم بتقوىٰ الله. وقال قتادة: يأمرهم بطاعة الله، وينهاهم عن معصية الله، وأن يقوم عليهم بأمر الله، ويأمرهم به ويساعدهم عليه، فإذا رأيت لله معصية قدعتهم عنها وزجرتهم عنها[(١)].

ثمّ وصف -سبحانه- النار بشدة اللهب، وقوة الاشتعال، ووصف خزنتها بالغلظة والشدة تخويفا من عذابها العظيم.

هذا وقد أخبر النبيُّ ﷺ أنَّ الأبوين مستأمنان مسؤولان يوم القيامة عن الأبناء، أأدَّوا حقهم من الرِّعاية والتّربية الحسنة أم تركوهم هَمَلًا، وأفسدوا أخلاقهم؟ فقال: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[(٢)].

ولا جرم أن الآية والحديث السالفين -ولهما أشباه ونظائر- شافيان كافيان في حمل الأبوين علىٰ حسن رعاية الأبناء وتربيتهم تربية إيمانية سوية؛ من أوجه:

أ- **الوجه الأول**: أن الله تعالىٰ أمر في كتابه وعلىٰ لسان نبيه بتربية الأبناء وحسن تأديبهم، ونهىٰ عن إفساد أخلاقهم، وإهمال تربيتهم. وحري بمن عظم الله أن يعظم أمره ونهيه، ومن عظمهما فعل المأمور وترك المحظور.

ب- **الوجه الثاني**: أن من عظَّم الجبار عظم عذابه، وتعظيم العذاب يُشعر بالخوف، والخوف مانع من مقارفة المعصية، وقد وصف الله النار في الآية بما يبعث الرهبة والوجل في

---

(١) انظر تفسير الطبري (٢٣ ص٤٩١٤٩٢.، وتفسير ابن كثير (٨ ص١٦٧.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرىٰ والمدن (٨٩٣؛ ١/ ١٩٨)، ومسلم: كتاب الإمارة (١٨٢٩؛ ٢/ ٢٧٩-٢٨٠)، كلاهما من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

القلوب، فمن قرأها علىٰ وجه التعظيم خاف علىٰ نفسه وذريته من أن يكونوا من أهلها؛ فيجاهد ويكابد في سبيل صلاح نفسه وأهله وذريته.

ج- **الوجه الثالث**: أن الحديث ناطق بأن الرجل والمرأة موقوفان، ومستنطقان، ومسؤولان يوم القيامة عن أمانة الأبناء، ويكفي أن يعلما أن السائل هو الرب العظيم ذو الملكوت وصاحب الجبروت؛ ليحفظا هذه الأمانة.

الفرع الرابع: أثر تعظيم الله تعالىٰ في صلة الرحم

أمر الله تعالىٰ أمر إيجاب بحفظ حقوق الأقارب؛ فقال: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ [الإسراء: ٢٦]، والمعنىٰ -علىٰ المختار- احفظ حقوق أقاربك بصلتهم والإحسان إليهم ورحمتهم. وجاء الأمر للمفرد؛ لأن الخطاب للنبي ﷺ ابتداء، وأمته تبع له، قال الإمام الطبريُّ: «وأولىٰ التأويلين عندي بالصَّواب تأويل من تأوّل ذلك أنها بمعنىٰ وصية الله عباده بصلة قرابات أنفسهم وأرحامهم من قِبَل آبائهم وأمهاتهم، وذلك أنَّ الله عزّ وجلّ عَقَّب ذلك عقيب حَضّه عباده علىٰ برّ الآباء والأمَّهات، فالواجب أن يكون ذلك حَضًّا علىٰ صلة أنسابهم دون أنساب غيرهم التي لم يجر لها ذكر، وإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: وأعط يا محمد ذا قرابتك حقَّه من صلتك إيَّاه، وبرّك به، والعطف عليه. وخرج ذلك مَخْرج الخطاب لنبيِّ الله ﷺ، والمراد بحكمه جميع من لزمته فرائض الله»[(١)].

وتوعد -سبحانه- قاطعي الرحم بالطرد والإبعاد من رحمته؛ فقال: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد]. وعظَّم -عزّ وجلّ- الرّحم؛ فاشتق اسمها من اسمه العظيم: الرَّحمن، وسمَا مقامُها؛ فعُلقت بالعرش، ووعد الله واصلها بوصله، وتوعد قاطعها بقطعه؛ فقال سبحانه -في الحديث القدسي-: «**أَنَا اللهُ، وَأَنَا الرَّحْمَنُ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا مِنْ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ**»[(٢)]؛ فمن عَظم اللهَ -عزّ وجلّ- حقّ التعظيم قمِن أن يعظِّم الرحم؛ فيؤتي أقاربه حقوقهم من البر والصلة والإحسان؛ لأمور أهمُّها:

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٤٢٧).

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب الزكاة، باب في صلة الرحم (١٦٩٤؛ ١/ ٣٤١)، والترمذي: أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في قطيعة الرحم (١٩٠٧؛ ص: ٥٩٤)، واللفظ له، كلاهما من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

الأوّل: أن الآمر بصلة الرحم وإيتاء ذي القربىٰ حقه، والناهي عن قطيعة الرَّحم هو الله تعالىٰ، ومقتضىٰ تعظيمه أن يعظم العبد أمره ونهيه؛ فيلزم الصلة، ويجتنب القطيعة.

الثاني: أن الله العظيم سبحانه يحب صلة الرحم ويثيب عليها، ويبغض قطيعة الرحم ويعاقب عليها؛ فكان لزاما علىٰ من عظم الله بصدق أن يحب صلة الرحم حبا لله ورجاء ثوابه العظيم، ويمقت قطيعة الرحم حبا لله وخوفا من عذابه العظيم.

وإذا حَفِظ الأبناء حقوق الآباء، وصان الآباء حقوق الأبناء، وأكرم الزوج زوجته وصان عرضه وعرضها، وأحسنت المرأة التبعل لزوجها وحفظت فرجها، ووُصلت الرحم واجتنب جميع أفراد الأسرة بتها، وملئت البيوت إيمانا وقرآنا، واستقامة وطاعة؛ فسوف تتماسك الأسرة وتشيع فيها المودة والرحمة، وينتشر فيها الهدوء والسكينة؛ والمفتاح لكل ذلك هو تعظيم رب البريئة.

خاتمة

أظهرت هذه الدراسة أن لتعظيم البارئ، وتقدست صفاته وأسماؤه= آثارًا فضلىٰ، منها:

- الآثار العقدية:
  - فتعظيم الله -سبحانه- باعث علىٰ الإيمان ابتداء، وعلىٰ كماله انتهاء، وسبب لتوحيد الله، وتنزيهه عما لا يليق بجلاله وجماله وكماله، وعظيم سلطانه.
  - وتعظيم الله -بصدق- دافع إلىٰ جميل محبته، وكمال خشيته.
  - وإنما يعظّم كلامَ الله، ورسولَه، وأمرَه ونهيه من عَظَّم الله تبارك وتعالىٰ.
  - وتعظيم الله سبحانه مفتاح الإيمان باليوم الآخر والخوف منه بغير يأس.
- الآثار النفسية:
  - فتعظيم الله -جَلَّجَلَالُهُ- سبب لشعور العبد بعزة المؤمن من غير كبرياء ولا استعلاء، وهو أعظم سبيل لتحقيق الأمن النفسي والاطمئنان القلبي.
  - وبالتعظيم يأنس العبد بربه، ويتلذذ بحلاوة عبادته.
- الآثار الأسرية:
  - فتعظيم الله له الأثر الأسمىٰ في بر الآباء، وحسن رعاية الأبناء، وشيوع المودة والرحمة بين الزوجين وحرص كل منهما علىٰ صيانة حق صاحبه.
  - وبالتعظيم تصان حقوق الأقارب، وتتماسك الأسر، ويسعد أفرادها.

وهذه الآثار لها شواهدها من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأحوال الفردية والجماعية. وهذه ثلاث خطاطات تلخص الآثار الثلاث لتعظيم الله تعالىٰ:

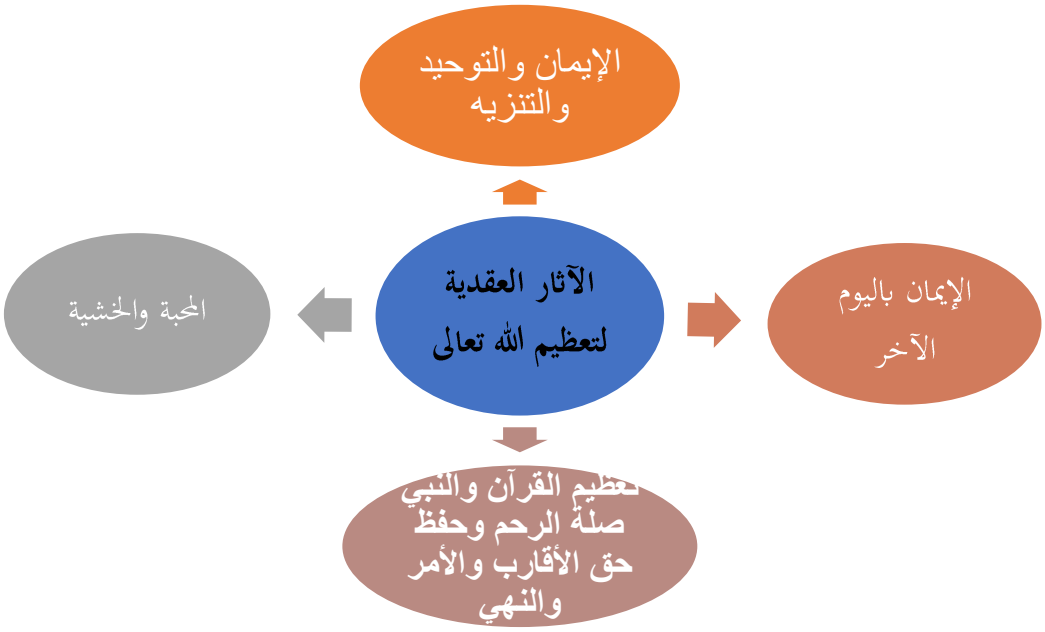
الإيمان والتوحيد والتنزيه
الآثار العقدية لتعظيم الله تعالى
المحبة والخشية
الإيمان باليوم الآخر
تعظيم القرآن والنبي
صلة الرحم وحفظ حق الأقارب والأمر والنهي

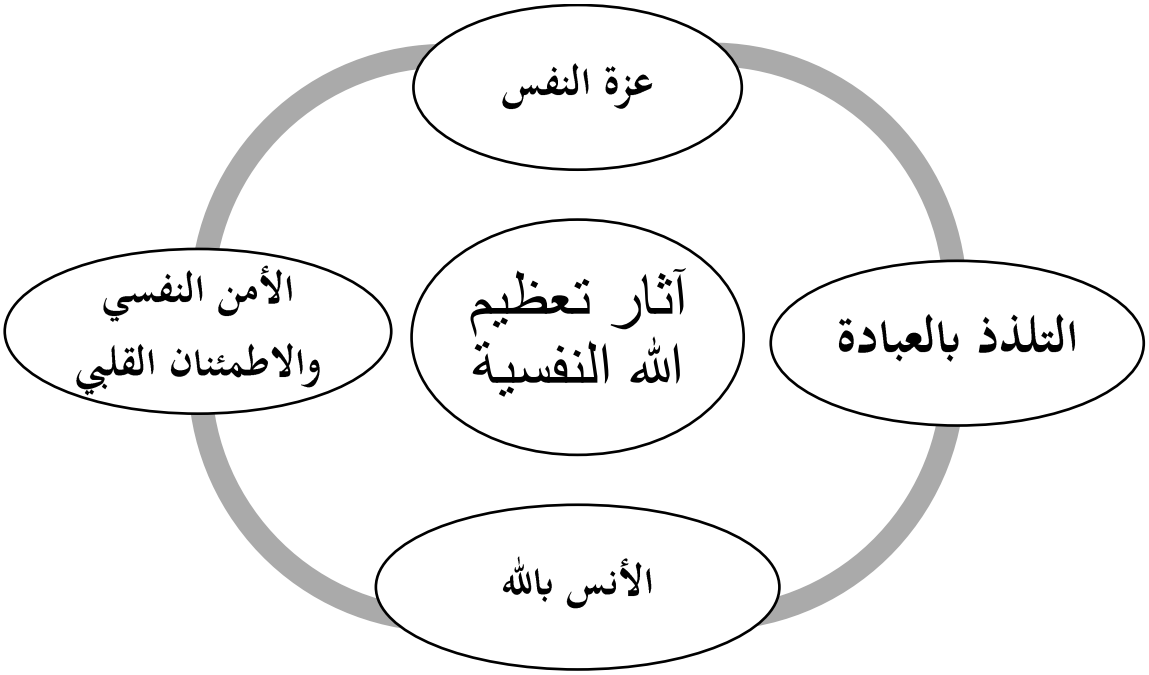
عزة النفس
الأمن النفسي والاطمئنان القلبي
آثار تعظيم الله النفسية
التلذذ بالعبادة
الأنس بالله

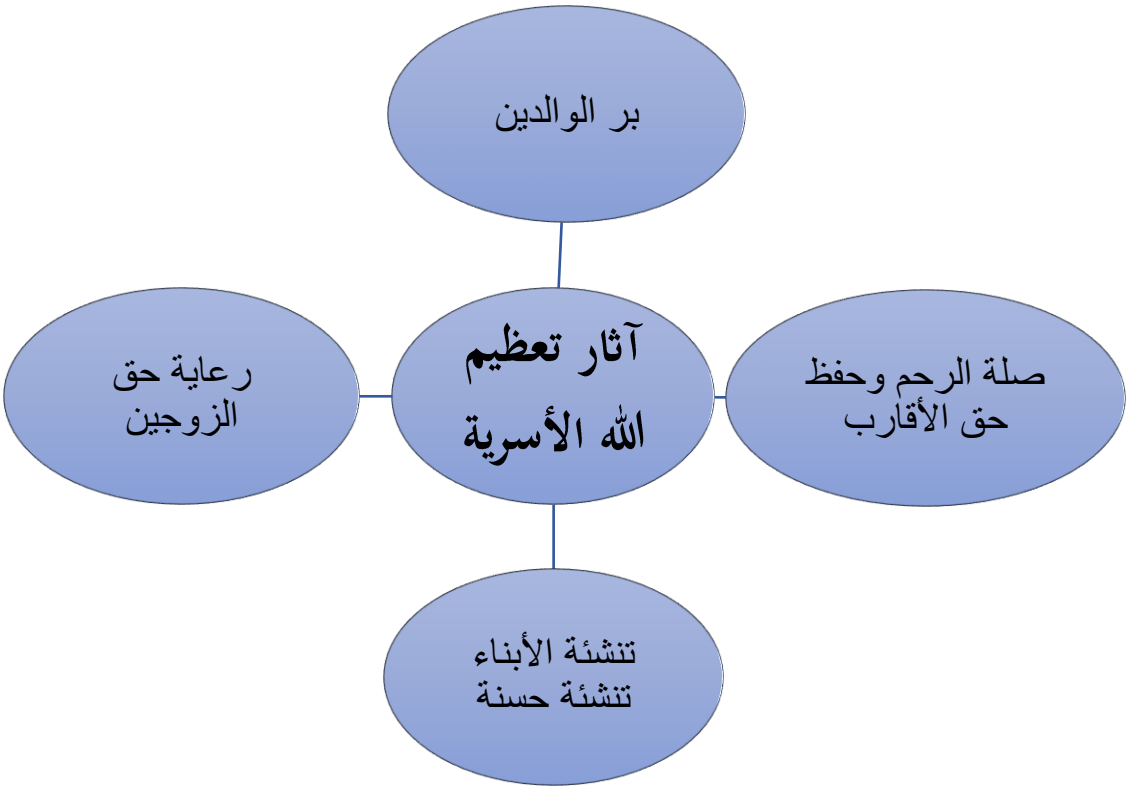

وختاما نرىٰ أن هذا المؤتمر البهي والملتقىٰ الزكي يعد لبنة أولىٰ في بسط الكلام عن تعظيم الله تعالىٰ، ورجاؤنا أن تعقبه مؤتمرات أخرىٰ؛ لمزيد الإلماع إلىٰ أهمية الموضوع، والتحفيز إلىٰ بحث الجوانب المتعلقة بتعظيم الله في الهدايات القرآنية، مع وضع برامج دقيقة واستثمار وسائل الإعلام والمؤسسات المتنوعة؛ لنشر تعظيم الله في نفوس الأفراد والجماعات.

وجزىٰ الله أفضل الجزاء وأعلاه كل من أسهم في نجاح هذا المؤتمر.

والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم، رواية حفص عن عاصم، المصحف المدني، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

١. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي لأبي العلا محمد عبد الرحمن المباركفوري (ت: ١٣٥٣هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٢. تعظيم الله جَلَّجَلَالُهُ «تأملات وقصائد» للدكتور أحمد بن عثمان المزيد، مدار الوطن للنشر، الرياض المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

٣. تفسير ابن أبي حاتم: تفسير القرآن العظيم للإمام أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي (ت٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفىٰ الباز - المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤١٩هـ

٤. تفسير ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للعلامة أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٥. تفسير ابن كثير: تفسير القرآن العظيم للإمام أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٦. تفسير السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

٧. تفسير الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للعلامة محمد الأمين الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع بيروت – لبنان، ط١٤١٥ هـ - ١٩٩٥مـ.

٨. تفسير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: محمود شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

٩. تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، ط١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

١٠. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم للإمام زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

١١. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي للإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دار المعرفة المغرب، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م

١٢. رابطة العالم الإسلامي، الهيئة العالمية للكتاب والسنة، البوابة الإلكترونية، مقال: المعجزة الصوتية للقرآن الكريم للدكتور محمود يوسف عبده.

١٣. سنن الترمذي: الجامع الكبير للإمام أبي عيسىٰ محمد بن عيسىٰ الترمذي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق عصام موسىٰ هادي، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

١٤. سنن الدارمي: المسند الجامع للإمام أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، (ت٢٥٥هـ)، تحقيق: نبيل الغمري، دار البشائر بيروت، ط١، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

١٥. السنن للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ)، تخريج ومراجعة شريف المهدي، دار ابن الهيثم بالقاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

١٦. السنن للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ)، عناية مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف بالرياض، ط٢، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

١٧. الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية، ط ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١٨. صحيح البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، عناية محمود بن الجميل، مكتبة الصفا بالقاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

١٩. صحيح مسلم: المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلىٰ رسول الله ﷺ، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١هـ)، عناية محمد بن عيادي ابن عبد الحليم، مكتبة الصفا بالقاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

٢٠. لسان العرب للعلامة أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الإفريقىٰ (المتوفىٰ: ٧١١هـ)، تذييل اليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر – بيروت، ط٣ - ١٤١٤هـ.

٢١. مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد السادس (١٤٢٩هـ)، مقال: أثر القرآن الكريم علىٰ الصحة النفسية للدكتور صالح بن إبراهيم الصنيع.

٢٢. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين للإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي بيروت، ط٣، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م

٢٣. المستدرك علىٰ الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفىٰ عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٢٤. المسند للإمام أحمد بن محمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، تحقيق وتخريج شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة ببيروت، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٢٥. المصنف في الأحاديث والآثار للإمام أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة (ت: ٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

٢٦. المعجم الكبير للإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق وتخريج حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية بالقاهرة، ط٢، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

الموضوعات

المقدمة	٢
المبحث الأول: أثر تعظيم الله العقدية	٤
المبحث الثاني أثر تعظيم الله تعالىٰ النفسية والأسرية	١٣
خاتمة	٢٨
المصادر والمراجع	٣١
المحتويات	٣٤